

وإنه لفي هذا التردد لا يدري أيقدم أم يحجم، وإذا النوم يأخذه في مجلسه وقتاً لا يدري أكان طويلاً أم قصيراً، ولكنه يسمع في آخره طائفة ذاك يقول بصوته الهادئ المطمئن: «لن يهلك الإنسان إلا إسرافه على نفسه بالشك والارتياب. إن كنت في حاجة إلى أن تسمع حديث شهرزاد، فأسرع إلى مجلسك من سريرها، فقد آن لها أن تأخذ في الحديث، وما أراك تحب أن تقص بقية خبرها على غرفتها تلك وما فيها من الأثاث.»

هناك أفاق شهریار مرتاعاً مذعوراً، ولكنه لم يفكر في شيء ولم يسأل نفسه ولا حرسه عن شيء، وإنما انسلَّ مسرعاً حتى دخل غرفة الملكة واطمأن في مجلسه غير بعيد من تلك النائمة الهائمة التي لم يصدر عنها ما يدل على أنها قد أحست مَقْدَمه، ولم يمض غير قليل من الوقت حتى انتهت إلى سمعه تلك النغمات الحلوة الرشيقة الأنيقة تحمل إليه صوت شهرزاد وهي تقول: «بلغني أيها الملك السعيد أن الملك طهمان بن زهمان قال لابنته فاتنة وهو يحاورها: إنني قد علمت الآن ما يملأ نفسي قلقاً وخوفاً على قلة ما يعتادني القلق ويبلغني الخوف.»

قالت فاتنة وقد ترددت في عينيها دموع حائرة تدفعها الرحمة لأبيها ويمسكها الإشفاق عليه، أن يزداد حزناً إلى حزن واكتئاباً إلى اكتئاب: «ويحي عليك يا أبت! ما عرفتك قبل اليوم حافلاً بالقلق أو معنياً بالخوف، وما أرى إلا أنك تفكر في ابنتك فتكثر التفكير، ويسوءك أنك حين تفارق هذه الحياة لن تترك لها أحاً ولا نصيراً، ولكني أحب أن تطيب نفساً وتقر عيناً؛ فإن ابنتك قد تعلمت منك كيف تواجه الحياة وتثبت لخطوبها وتنفذ من مشكلاتها، وإني منبئتُك الآن بما يثير في نفسك القلق ويبعث في قلبك الخوف.» قال أبوها: «وما أنت وذاك يا ابنتي! ومن أين لك العلم بما لم ترتفع به الأنباء إلا إلي! ولم ترتفع به الأنباء إلا إلي إلا الساعة قبل أن ألقاك بلحظات!» قالت فاتنة: «فاسمع مني قبل كل شيء، فإن يكن ما أنبئك به صحيحاً كان ذلك خليقاً أن يرد الراحة إلى نفسك والأمن إلى قلبك، وإن يكن ذلك غير صحيح رددتني إلى الصواب ووجهتني من أمري حيث تحب، فلن أعصي لك أمراً، ولن أرد عليك قولاً.» قال الملك: «فها ما عندك يا ابنتي.»

قالت فاتنة: «لقد ارتفعت إليك الأنباء الساعة بأن هؤلاء الخاطبين الخائبين من ملوك الجن في البر والبحر والجو، قد ساءتهم الخيبة وأسخطهم ردِّي لهم وإعراضي عنهم، ووقع في نفوسهم أنني أزدرهم ولا أقدر مراتبهم حق قدرها، فاستحال حبهم لي بغضاً وتنافسهم في تظاهراً عليّ، وقد سعى بينهم السفراء، ثم كان بينهم الاتفاق، فأجمعوا رأيهم على أن ينتظروا بك ما بقي من عمرك، وهم يرونه قصيراً وأراه طويلاً، وقد أزمعوا إذا